

المحاضرة 05: الخصائص الفنية لفن المقالة.

تمهيد:

حظيت المقالة في أدبنا الحديث والمعاصر من بين فنون الأدب الأخرى بقدر كبير من «الإقبال عليها والنشاط والرواج، لأن القارئ يجد فيها متعة نفسه وغناء فكره بأيسر جهد، ولولاها لما راجت الصحافة ونفق سوقها، ولما كان للمجلات مجال في الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية والفكرية والعلمية»^أ، ولقد تميزت المقالة في خضم الأشكال الأدبية بالتصميم المنهجي لعناصرها، حيث تميزت بالاختزال ووحدة الموضوع وتسلسل الأفكار، إضافة إلى الوضوح في التعبير عن طريق اللغة المباشرة.

أولاً - عناصر المقالة.

تتكون المقالة من مجموعة عناصر هي أساس أي فن أدبي، مع اختلاف أساليب الكتاب في استخدام هذه العناصر، والتي تتمثل فيما يأتي:

1- عنصر اللغة: اللغة هي وسيلة الاتصال الأساسية عند البشر، وتتكون الوحدة الأساسية للغة من الكلمات والكتاب الناجح هو الذي يستطيع اختيار الكلمات المناسبة ويتخلص قدر الإمكان من الكلمات الزائدة، مما يحقق أسلوباً يتسم بالإيجاز ينسجم مع نمط فن المقالة، ومن الضروري أيضاً أن يراعي الكاتب بناء الجملة وترابط الكلمات في سياق محدد ليقدم معنى يشكل الجملة التي هي الوحدة الأساسية للفقرة.

2- عنصر الفكر: إن كاتب المقالة شأنه شأن أي أديب أو كاتب آخر لا يكتب مقالته من فراغ أو من دون هدف، فهو يكتب مقالته حاملاً في طياتها رسالة يريد توصيلها للمتلقي، وهذه الرسالة بدورها تحمل فكرة أو أفكاراً تعبر عن وجهة نظره، ومن غير المنطقي أن تكون هناك مقالة من دون فكرة تدور حولها مهما كانت قيمة هذه الفكرة^أ، وكاتب المقالة يستمد أفكاره من تجاربه الخاصة ومن تجارب الآخرين في الحياة، أو من ثقافته العامة وقراءاته المستمرة، لذا فإن الفكر عنصر أساسي في المقالة، لأنه هو الذي يجعل لها معنى ويحدد لنا الهدف منها.

3- عنصر العاطفة: يختلف الكتاب باختلاف تكوينهم النفسي والفكري والاجتماعي، ويختلفون باختلاف تجاربهم، وتشكل العاطفة جزءاً أساسياً من تكوين البشر، مما يؤثر على سلوكهم وعلى أدائهم وأشكال التعبير لديهم فالعاطفة تؤدي إلى اختلاف الأساليب، ومع اختلاف الموضوعات التي يتناولها الكتاب، فإننا نجد أن بعضها يلزمه دفعات عاطفية، والبعض الآخر يكاد يخلو منها وخصوصاً المقالات العلمية.ⁱⁱⁱ

وعليه فإن خصوصية تكوين الكاتب الفني والفكري التي تعتمد على موهبته وثقافته العامة والمتخصصة وتجربته، وثروته اللغوية، وروحه العامة وفلسفته في الحياة تؤثر تأثيراً أساسياً على أسلوبه، كما أن توظيفه للفكرة أو شحن مقالته بعاطفة متأججة أو هادئة ستجعل لمقالاته أسلوبها الخاص، ولنوعية القراء أثر بالغ في نجاح مقالة أو فشلها.

ثانياً - أقسام المقالة.

إن المقالة باعتبارها جنسا أدبيا له سماته الخاصة، لها بناء وتصميم خاص بها، ويحتاج هذا البناء إلى تنظيم أقسامها تنظيما خاصا، حتى تخرج في قالب في يضع الكاتب فيه أفكاره بشكل يتقبله القارئ وهذه الأقسام* هي:

1- العنوان:

للعنوان أهمية كبيرة في جذب القارئ، وإثارة اهتمامه لقراءة مقال ما، ويجب أن يتسم العنوان بالتر كيز والتعبير عن الموضوع والقدرة على جذب المتلقي، ولقد وضع ستاليني جونسون وجولييان هاريس مجموعة من الشروط التي يجب أن تراعى عند كتابة العناوين الصحفية، وبعض هذه الشروط صالح للتطبيق على عناوين فن المقال بأنواعه المختلفة، وأهم هذه الشروط ما يأتي:

أ- تجنب تكرار الأفكار والألفاظ الواردة في العنوان.

ب- تجنب العناوين التي تسبب اضطرابا أو غموضا.

ج- يجب أن يكون العنوان حاملا للجديد، موحيا بأن هناك عملا قد أنجز أو حدثا ما، وينبغي ألا يبدأ بفعل أو صيغة مصدر.

د- ينبغي استخدام الفعل المضارع أو المستقبل، وأن يكون معلوما غير مبني للمجهول.

هـ- يشترط الوضوح في العنوان واجتناب العبارات المهجورة، وذلك باختيار الكلمات التي تنقل الفكرة المطلوبة، وتجنب اللهجة العامية ما أمكن.

و- عدم استخدام الاختصارات ما لم تكن شائعة ومفهومة، وعدم إقحام الرأي في العنوان أيضا، وتجنب الكلمات الزائدة وعبارات التذليل^{iv}، وهذه الشروط تنطبق انطباقا تاما على العناوين الصحفية بشكل خاص، وتبقى مجرد مؤشرات لكتاب المقالات، وحريةهم كبيرة في صياغة العناوين إذا تحقق التعبير عن الموضوع وإثارة اهتمام المتلقي وجذبه.

2- المقدمة:

تتألف من معارف مسلم بها لدى القراء، وتكون قصيرة ومتصلة بالموضوع، معينة على ما تعد النفس له من معارف تتصل به، وهي تمهيد ملائم للدخول في الفكرة الرئيسية^v، ويجب أن تشتمل جملة تشير إلى الفكرة الرئيسية التي يتم مناقشتها فيما بعد. والمقالة تشتمل على ما يعرف بالفكرة المسيطرة، والتي يجب أن تتصف بما يأتي من الخصائص: ^{vi}

أ- أن تشتمل على الفكرة المسيطرة التي يتم تطويرها في المقالة.

ب- جملة الفكرة المسيطرة في المقالة هي وعد الكاتب للقارئ بأنه سيقدم له ما يدعمها.

ج- جملة الموضوع (فكرة المقالة) يجب أن تكون في بداية المقال، وتشكل الجزء الأساسي في جملة موضوع المقال.

د- أفضل موضع تكتب فيه الفكرة المسيطرة هي أن تأتي في نهاية جملة الموضوع، وتكون كلمة أو شبه جملة أو جملة محددة ومعروفة، وقد تكون طويلة ولكن الأفضل أن تكون قصيرة ومختصرة.

هـ- يجب تجنب جمل الموضوع ذات النهايات المغلقة التي يعوزها الفكرة المسيطرة، والتي لا تقود إلى أي اتجاه، لأنها لا تفسح المجال للتفسير والتحليل للمناقشة في جسم الموضوع.
و- تجنب صيغة السؤال أو التنبؤ في جمل موضوع المقال.

3- العرض (المناقشة أو جسم الموضوع):

وهو النقطة الرئيسية أو الطريقة التي يؤدبها الكاتب، سواء انتهت إلى نتيجة واحدة أو إلى عدة نتائج، وهي متصلة معاً وخاضعة لفكرة رئيسية واحدة، وينبغي أن يكون العرض منطقياً، مقمداً الأهم على المهم، مؤيداً ذلك بالبراهين التي تقود إلى الخاتمة، والهدف الذي يصبو إليه.^{vii}

وبالتالي فإن جسم المقال يشكل الجزء الأساسي فيها، حيث يتم عرض البيانات والحقائق والأدلة التي تحاول أن تؤيد ما جاء في المقدمة، وخصوصاً جملة الفكرة الرئيسية (جملة الموضوع)، وهو بهذا يشكل المجال الحيوي الذي يحاول فيه الكاتب إقناع القارئ بوجهة نظره، وذلك بأسلوب يعتمد على التسلسل في عرض الأفكار والظواهر والمنجزات،^{viii} والعرض يتكون غالباً من عدة فقرات تتسم بالوحدة والتماسك والترتيب المنطقي، بحيث تؤدي الفكرة إلى الفكرة الأخرى وتختتم الفقرات غالباً بجملة استنتاجية.

4- الخاتمة:

وهي ثمرة المقال وعندها يكون السكون، ولا بد أن تكون «النتيجة طبيعية للمقدمة والعرض واضحة، صريحة، ملخصة للعناصر الرئيسية المراد إثباتها، حازمة تدل على اقتناع و يقين، لا تحتاج إلى شيء آخر لم يرد في المقالة»^{ix}، ويقوم الكاتب بتكثيف رأيه في الخاتمة أو يقدم ملخصاً لرأيه واستنتاجاته، أو تقييماً أو دعوة للمشاركة أو اتخاذ المواقف أو عبرة للناس أو غير ذلك.

مما سبق نصل إلى نتيجة مهمة وهي أن المقالة تقدم عرضاً لفكرة رئيسية واحدة، وهي التي توحيدها وتسيطر على كيانها، ثم إن عنوانها يجب أن يتسم بالإيجاز والتعبير عن الموضوع وإثارة اهتمام القارئ بالموضوع، في حين يتسم عرض الأفكار بأسلوب له نظامه الخاص، كأن ينتقل من الخاص إلى العام أو العكس، أو من المألوف إلى اللامألوف، ومن البسيط إلى المعقد... الخ.

